**تطور الاحتجاج للقراءات**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**Ahmedmsamir54@gmail.com**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى تطور الاحتجاج للقراءات**

**الكلمات المفتاحية – تطور، الاحتجاج، النحاه**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة تطور الاحتجاج للقراءات**

* **.عنوان المقال**

**احتج كل من القراء والنحاة للقراءات، فوجهوها وكشفوا عن عللها، وكانت مشغلتهم بالاحتجاج متدرجة في خطوات على النحو التالي؛ فالخطوة الأولى: تتمثل في الاحتجاجات الفردية لبعض القراءات، كما روي عن ابن عباس > أنه قرأ: "ننشرها" من قوله تعالى: {ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} [البقرة: 259] واحتج بقوله تعالى: {ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} [عبس: 22] وقال: "إنشارها إحياؤها". وجاء في (معاني القرآن) للفراء: "وقرأ الحسن: "ننشرها" ذهب إلى النشر، والطي، والوجه أن تقول: أنشر الله الموتى فنُشروا إذا أحيوا. قال الأعشى:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **......................** | **\*** | **يا عجبًا للميت الناشر** |

**وكما روي عن عاصم الجحدري أنه كان يقرأ "ملك يوم الدين" [الفاتحة: 4] بغير ألف، واحتج على من قرأها {ﭞ} بالألف، فقال: يلزمه أن يقرأ: "أعوذ برب الناس، مالك الناس". وكان عيسى بن عمرو يقرأ: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} [سبأ: 10] بالنصب، ويقول: هو على النداء أي يا جبال أوبي معه والطير، وكان الغالب عليه حب النصب إذا وجد لذلك سبيلًا منه: {ﮛ ﮜ} [المسد: 4] وأيضًا "الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي" [النور: 2] "وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَة" [المائدة: 38] "هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ" [هود: 78]". هذه تخريجات فردية لبعض القراءات مرتبة ترتيبًا تاريخيًّا. ويندرج تحت هذه الخطوة احتجاج سيبويه لبعض ما أورد في (الكتاب) من قراءات.**

**ثم تأتي الخطوة الثانية: وتتمثل في عُمْر هارون بن موسى الأعور، المتوفى قبل المائتين من الهجرة، الذي قال عنه أبو حاتم السجستاني: "إنه أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات، وألفها، وتتبع الشاذ منها، فبحث عن إسناده، والبحث عن الإسناد ضرب من ضروب الاحتجاج".**

**وتتمثل هذه الخطوة كذلك في عُمْر يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، أحد القراء العشرة وحفيد عبد الله بن أبي إسحاق النحوي. قال أبو حاتم عن يعقوب: "كان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف، والاختلاف في القرآن وتعليله، ومذاهبه ومذاهب النحو في القرآن، وأروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء"، وقد ألف يعقوب كتابًا سماه (الجامع) جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى من قرأ به.**

**وأود هنا أن أنبه إلى أن الخطوتين -خطوة التخريجات الفردية، وخطوة الكتب الجامعة للقراءات وإسنادها- لم تكونا منفصلتين متتابعتين؛ بل إن الخطوة الأولى -مع سبقها- تتحد أو تلتقي بجانب الخطوة الثانية، ذلكم ما يُفهم مما روي عن عثمان المازني -وهو متوفى سنة تسعة وأربعين ومائتين للهجرة- أنه قال: "قرأت على أبي وأنا غلام: {ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ} [النور: 43] فقال له أبو سوار الغنوي وكان فصيحًا: "يخرج مِن خَلله"، فقال أبي: "مِن خللهِ" قراءةٌ، فقال أبو سوار: أما سمعت قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بغمزة يخرجن منها** | **\*** | **خروج الودق من خلل السحاب** |

**قال أبو عثمان: "خَلَل وخِلال واحد هما مصدران".**

**ومن الكتب الجامعة أيضًا للاحتجاج كتاب (الاحتجاج) لكل من المبرد وابن درستويه، ثم كان بين الأئمة نحاة وقراء، جادلوا حول القراءات منذ مطلع القرن الثاني الهجري، حتى مطلع القرن الثالث من الهجرة أن يلفظ آخر أنفاسه، وقد رصد ما دار بين هؤلاء الأئمة على امتداد القرنين الهجريين الثاني والثالث، ولذلك التحديد التاريخي أهميته؛ حيث تسلمنا نهايته إلى عصر ابن مجاهد، وبذلك تتضح حلقات الاحتجاج للقراءات وتطوره، منذ أن كان تخريجات فردية إلى أن استحصد، واستوى على سوقه، بعمل أبي علي الفارسي تلميذ ابن مجاهد ومن جاء بعده من المحتجين مشارقة، ومغاربة، وأندلسيين.**

**هذا؛ وقد جاء تتبعي للتخريجات الفردية من الأئمة القراء والنحاة على الوجه التالي:**

**أولًا: بين بلال بن أبي مردة، وعبد الله بن أبي إسحاق. حدث الأصمعي قال لأبي بلال بن أبي بردة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي في حرف من القرآن قال بلال: {ﯼ} [طه: 87] وقال ابن أبي إسحاق: "بمُلكنا"، فتراضيا بأبي عمرو، فوجه بلال إليه، فقال أبو عمرو عما أراده له فعرف فدخل، وقد عرف قول بلال فسأله بلال فأجازهما، وفضَّل قول بلال فقال له ابن أبي إسحاق: "أما قرأنا على مجاهد "بمُلكنا" بضم الميم؟ فقال أبو عمرو: أخبرت بما عندي فوصله بلال، فلما خرجا قال لعبد الله بن أبي إسحاق: والله لو أخطأ الملوك لصوبنا خطأهم، فكيف إذا أصابوا؟! إن منازعة الملوك تضعفهم"، وكان أبو عمرو رجل زمانه علمًا ونبلًا وصدق لهجة غير معتد به، ولا محتج عليه.**

**أيضًا بين يونس بن حبيب وعبد الله بن أبي إسحاق. حدث يونس قال: "مضيت إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فقلت له: كيف تقرأ {ﮬ ﮭ ﮮ}؟ [القيامة: 7] فقال: "فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ"، وفتح الراء، فقمت من عنده إلى أبي عمرو فقال: من أين جئت؟ فقلت: من عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي سأله كيف تقرأ: {ﮬ ﮭ ﮮ}؟ فقال: "فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ" بفتح الراء، فقال أبو عمرو: وأين يراد به؟ يقال: بَرَقت السماء وبرَق النبت، وبرَقت الأرض، فأما البصر فبرِق، كذا سمعنا".**

**أيضًا بين يحيى بن الحارث الذماري ويزيد بن أبي مالك. قال يحيى الذماري: "اختلفت أنا ويزيد بن أبي مالك في: {ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} [الإسراء: 31] فقلت أنا: "خَطئًا"، وقال هو: {ﮇ} فقمنا إلى أبي عبد الله بن عامر اليحصبي وكان إمامًا في القراءة، وكان على المسجد وكان لا يرى فيه بدعة إلا غيرها فسألناه فقال: "خَطئًا كبيرًا".**

**كذلك حدث بين عيسى بن عمر وقراءاته {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} [التوبة: 109] حكى ابن سلام قال: "قال سيبويه: كان عيسى بن عمر يقرأ {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} قلت: أي شيء نوّن؟ قال: لا أدري ولا أعرفه. قلت: فهل نوّن أحد غيره؟ قال: لا". قال أبو الفتح بن جني: "أخبرنا بهذه الحكاية أبو عمرو جعفر بن علي بن الحجاج عن أبي خليفة بن الحباب عن محمد بن سلم. فأما التنوين فإنه وإن كان غير مسموع في هذه القراءة، فإن قياسه أن تكون ألفًا للإلحاق لا للتأنيث كـ "تترًا" [المؤمنون: 44] في مَن نوّن وجعلها ملحقة بجعفر".**

**أيضًا بين أبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة. حدث المازني عن أبي عبيدة قال: "سمعت عمرو بن العلاء يقرأ "لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" [الكهف: 77] فسألته عنه فقال: هي لغة فصيحة". كذلك بين الخليل بن أحمد وأبي عمرو. حكى أبو بكر بن مجاهد في كتابه عن أبي عبد الرحمن اليزيدي عن أبيه قال: "لقيني الخليل بن أحمد في حياة أبي عمرو فقال لي: قرأ {ﯻ ﯼ} [القمر: 25] ولم يقرأ "أأنبكم" قال: فلم أدر ما أقول له، فرجعت إلى أبي عمرو فذكرت له ما قال الخليل فقال: فإذا لقيته فأخبره أن هذا من نبأت وليس من أنبأت. قال: فلقيته فأخبرته بقول أبي عمرو فسكت. قال أبو بكر: هذا شيء لا أدري ما معناه، اللهم إلا أن يكون الذي علم منه شيئا منع غيره أن يعلمه، وإن كانت العربية، فلا فرق بين اجتماع الهمزتين من نبأت ولا من أنبأت".**

**ومما أريد أن أنبه إليه أن الاحتجاج قد تنوع للأوجه المختلفة المروية في اللفظ القرآني، فقد يحتج مُلْكنا ومَلْكنا و{ﮭ} و"بَرَقَ" و{ﮇ} و"خَطئا"، إلى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرتها لك، ويمثل هذا الاحتجاج المرحلة الأولى من الاحتجاج للقراءات التخريجات الفردية، وأيضًا يعد عمل ابن مجاهد باختياره القراء السبعة، وتأليفه فيها كتاب (السبعة)، ثم تأليفه في الشواذ يعد خطوة حاسمة في تاريخ تطور الاحتجاج، وتأتي أهمية هذه الخطوة من مكانة ابن مجاهد العلمية ومكانه عند الحكام، فلقد كان الرجل ذا قدم راسخة في القراءات، وكان بعيد الصيت مع الدين والحفظ والخير، كما كان مسموع الكلمة عند الحكام، فانتصروا لاختيار ابن مجاهد وأوقعوا لمن خالفها العذاب، واتجه العلماء -النحاة منهم بخاصة- إلى الاحتجاج لسبعة ابن مجاهد؛ حماية للدين، وحفاظًا على التنزيل.**

**ومثل اتجاههم هذا الخطوة الثالثة في الاحتجاج للقراءات، وتتابعت المعالم الكبرى لهذه المرحلة على النحو الآتي: ابن مجاهد الذي قام بالاحتجاج في كتابه (السبعة) في القراءات، فيبدأ بسورة الفاتحة ثم أمسك عن ذكر الحجة؛ لأنه توقع أن الكتاب بها سيثقل ويطول، فاقتصر على الأخبار بالقراءات وحدها دون احتجاج لها.**

**كذلك يحتج أبو بكر محمد بن السري -المعروف بابن السراج- للقراءات التي أخبر بها ابن مجاهد في كتابه (السبعة)، فيتم سورة الفاتحة، ويتناول جزءًا من سورة البقرة، ثم يمسك بعد الآيتين الأولين من سورة البقرة. وكذلك يؤلف أبو طاهر عبد الواحد البزار كتاب (الانتصار لحمزة)، وقد جعله من كتب الاحتجاج لما يوحي به العنوان. كما يؤلف محمد بن الحسن الأنصاري كتاب (السبعة) بعللها الكبير.**

**وينشط أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم في هذا الباب، فيؤلف كتاب (احتجاج القراءات)، كتاب (السبعة بعللها الكبير)، كتاب (السبعة بعللها الأوسط)، كتاب (السبعة بعللها الأصغر)، وكذلك يؤلف الأزهري صاحب (تهذيب اللغة) كتابًا في علل القراءات، ثم يعقبه أبو علي الفارسي تلميذ ابن مجاهد بكتابه (الحجة في علل القراءات السبع)، ويعاصر أبا علي بن قلويه، فيحتج للقراءات السبعة كذلك، ويجيء ابن جني -تلميذ أبي علي الفارسي- فينتصر لما شذذ ابن مجاهد من القراءات، ويحتج لها في كتابه (المحتسب).**

**وفي القرن الخامس ينشط القراء الأندلسيون والمغاربة في الاحتجاج، فيؤلف مكي بن أبي طالب القيسي كتابه (الكشف عن علل القراءات وحججها)، وأيضًا يؤلف الداني كتابه (الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة)، وتتتابع كتب الاحتجاج جامعة تفصيل مذاهب السبعة أو الثمانية أو العشرة أو الأربعة عشر، وأغلبها يحتج احتجاجًا موجزًا لأصول وفرش الحروف، وبجانب هذه الكتب ما ألفه علماؤنا المعاصرون المشتغلون بالقراءات. وأبرز من كتب من المعاصرين الشيخ عبد الفتاح القاضي شيخ القراء بمصر، وخاصة كتابه الذي يحمل اسم (الاحتجاج للقراءات الشاذة).**

**المعالم الكبرى لتطور الاحتجاج:**

**الخطوة الأولى في الاحتجاج: تتمثل في هذه التخريجات الفردية.**

**الخطوة الثانية: وتتمثل في جميع القراءات المختلفة والبحث عن إسنادها.**

**الخطوة الثالثة: وقد هيأ أبو بكر بن مجاهد لها الأسباب بتأليفه كتاب (السبعة) وكتاب (الشواذ)، وتتمثل في احتجاج المشارقة والمغاربة لسبعة ابن مجاهد، أو الاقتصار على الانتصار لقارئ من السبعة، أو لأصل من أصول القراءات، أو لما شذذ ابن مجاهد من القراءات.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**